ثقافة التسامح في المجتمع العراقي
(قراءة ثقافيه في قبول الآخر)

م.د. زينب محمد صالح
جامعة بغداد – كلية التربية للبنات

مقدمة:

ارتأيت أن ابدأ مقدمة بحثي بمقتطفات من كتاب "رسالة في التسامح لفولتير" فالتسامح يبدأ من الدين، فالدين وجد لاسعاد البشر وانه لمن الحمق ان يدعي مدعي على حمل البشر قاطبة على التفكير بطريقة واحدة ،فتطويع الكون بقوة السلاح اسهل بكثير من تطويع العقول ،ان تفعيل ثقافة التسامح وقبول الاخر هو المحك الاصعب الذي يجب ان تأخذه جميع الفئات على عاتقها لتأسيس دولة يسودها الامن الاجتماعي. وللوصول الى اشاعة ثقافة التسامح في المجتمع العراقي ضمن ولادته السياسية الجديدة، فأن على الاحزاب والجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني الفاعلة ان تعي دورها وتكثف حضورها بأتجاه سيادة فتح الحوار المشترك فتح قنوات العمل السياسي المشترك ، نشر الوعي بالديمقراطية الفكرية والتي كلها مجتمعة تشكل بدائل للعنف والارهاب. ان تبني ثقافة جديدة على البناء الثقافي العراقي هي مسؤولية الجميع وتقع على عاتقنا كأفراد وحكومة.. حيث نبدأ من داخل الاسرة التي تعد اللبنة الاساسية لأنشاء الجيل الجديد ثم تتبعها باقي القطاعات في تدعيمها لتكون وحدة واحدة في بناء مجتمع مسالم مع نفسه اولاً ثم مع الآخر.

يقول القديس اوغسطينوس قبل ان يغلو في التشدد "أنضطهد من سامحهم الله" ، ان تواريخنا ، وخطبنا ، ومواعظنا ومؤلفاتنا الاخلاقية وكتب تعليمنا الرئيسة تستوحى جميعها من فريضة التسامح المقدسة وتجمع اليوم على تعليمها... أفهي لعنة القدر ان نكذب عملياً نظرية ننادي بها يومياً؟ وبوسع الجميع ان يُصنف مجلداً ضخماً من مقتطفات كهذه، الحق انه عندما تناقض افعالنا اخلاقنا. فليس لذلك من علة سوى اعتقادنا بأن مصلحة في فعل عكس ما ننادي به...ولاهمية الموضوع في وقت باتت

به الصراعات السسياسية انعكاسا لصراعات اجتماعية ونفسية واقتصادية لاسيما العداءات القومية والعرقية والمذهبية تاخذ مأخذها على الشارع العراقي .. مما يتطلب ايجاد ثقافه تسامحية مرتكزه على مباديء السماء في الاديان السماوية كافة واهمها قبول الاخر من اجل التعايش السلمي.

ومن هذا المنطلق ستقوم الباحثة بتناول الموضوع وفق معطيات من شانها ان تساعد المجتمع على التآزروالتماسك ونبذ كافة انواع العنف الذي في الاصل هو ليس من قيم المجتمع العراقي .. ومعطيات ومحاور البحث التي ستبين ثقافة التسامح وقبول الآخر هي كما يأتي:

اولاً : موضوع واهمية واهداف ومصطلحات البحث.

ثانيا:التسامح في الاسلام(اطلالة تأريخيه)

ثالثا : ثقافة التسامح ومؤسسات التنشئة الاجتماعية.

رابعا : التسامح وثقافة قبول الاخر وسبل تطبيقه في المجتمع العراقي.

خامسا : النتائج والتوصيات والمقترحات ومصادر البحث.

Sammary

The importance of thes Subject at atime when Politicalstrugglesas are reflection of Social conflicts, Psychological and economoic National.ethnic and doctrinal. Take their approach on Iraqi street.which requires creating a culture tolerance based on the prenciples of heaven in the heavenaly religions all the most important of the other in order to accept peaseful coexistence.

In this sense researcher will deal. with thes issue in accordance with the requirements that will help the community on the synergy and cohersion and cohesion and reject which has more strong of Iraqi society vakuse.

The data and section of this stady:

First: Subject , importance , aims and research.

Second : Lenity culture in Islam (Historical).

Third: Lenity (forgiveness) culture and Socialazation and nature institions.

Fourth: Lenity and the culture of accepting of and the ways of applying in Iraqi Socity.

Fifth: Conclusion , Recowmendation , Suggestion and the resewch record.

عناصر البحث

اولاً : موضوع وأهمية واهدف ومصطلحات البحث:-

● **موضوع البحث :**

تعرض المجتمع العراقي لفترات طويلة من الزمن لمظاهر مختلفة من العنف وهو نتيجة لسياقات وظروف اجتماعية معينة سمحت بذلك انذاك ولعل الظروف السياسية و الاقتصادية وما يتعرض له المجتمع العراقي من أزمات وتغيرات عميقة تركت آثارها في بنية المجتمع ومنظومته القيمية وفي المجالات الاخرى والتي يتفاعل في إطارها الأفراد بدأ من الأسرة وانتهاء بالمجتمع وقد أصبح العنف سيد الموقف وبات اللجوء إليه أو التهديد به لفض المشكلات البسيطة أو المعقدة أمراً محتوماً ، إلى الحد الذي غدا يهدد فيه بتغيير طبيعة العلاقات القائمة ، فلا يكون هناك مجال للتعاون وتنتفي عمليات الأخذ والعطاء ، وتصبح القوة أو التلويح بها هي اللغة السائدة.كما برزت ظاهرة العنف الناتج عن التعصب في اقبح صورها وهنا تكمن الاهميه الكبرى في اهتمام العالم ومنظمات الامم المتحده بأعلان عن مبدأ التسامح وتبنيه على الصعيد الدولي ،والعمل على نشر ثقافة التسامح في المجتمعات الانسانيه،فالتسامح هو المفهوم الشامل والمضاد لمعظم الظواهر الاجتماعيه التي تؤثر سلبا على الدول والمجتمعات والانسان بشكل عام وتعمل على النيل من حريته وكرامته بل واحيانا من حياته ،والناتجه معظمها عن نقيض التسامح ،التعصب بكافة اشكاله ودوافعه ،فالتسامح في نهاية المطاف الديمقراطيه وحرية الرأي والرأي الآخر ،والتعايش السلمي بين الاثنيات والمعتقدات والاجناس المختلفه ،وتقبل الآخر كما هو واحترامه واحترام تفكيره ومعتقداته وحريته.

● **أهمية البحث:**

ان الصراعات العنيفة التي تعرض لها المجتمع العراقي جعل الذات العراقية تتمركز حول محور العنف وأصبح هذا المحور يحتل جزء كبير من المجتمع العراقي ، آذ تغلغل في ثقافتنا الباطنية أو المستترة وأصبح جزء من ميولنا النفسية والاجتماعية حتى بدأ العنف يظهر في سلوكياتنا وتعاملنا اليومي ليكون نمطا ثقافيا يميز مجتمعنا عن المجتمعات الأخرى. ولكننا اليوم بعد استيعاب المجتمع العراقي لدروس الماضي وتعرضه لتغيرات اجتماعية وثقافية وسياسية مهمة في تاريخه الحديث وخروجه من العزلة الاجتماعية التي مر بها أبان الحكم قبل عام ٢٠٠٣م جعلته امام ثقافة جديدة أخذت تحتل الجزء الأكبر من أولويات التفكير في الشخصية العراقية. إذ ظهرت دوافع ومتطلبات عديدة ساهمت في بلورة الحاجة إلى مفاهيم وقيم وثقافات ، تساهم في زيادة

وتيرة التفاهم بين أفراد المجتمع الواحد ، وبين المجتمع العراقي الاخر. وتؤسس لعلاقة سليمة بعيدة عن خيارات القطعية والصدام .وعالمنا اليوم في اشد الحاجه الى التسامح والتعايش الايجابي بين الناس اكثر من اي وقت مضى.نظرا لان التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوما بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات.ولما كان العراق بلدا ذا تنوع عرقي وديني وثقافي .الامر الذي يتطلب معه تقبل الرأي الآخر على اسس المواطنة والتعايش السلمي وحل الاختلافات بالحوار والتفاهم بعيدا عن العنف تعزيزا للسلم الاهلي والحفاظ على النسيج الاجتماعي العراقي والتي تشكل شرطا موضوعيا من شروط بناء الدولة المدنية ومؤسساتها الدستورية والديمقراطية .

ان اتساع الحروب الداخلية والخارجية المفتوحة والاختلافات القومية والمذهبية والدينية والرؤى السياسية كلما توسعت اكثر ، ازدادت الحاجة إلى أطر ثقافية وقيم جديدة تحتضن كل معالم الاختلاف وتستوعب جميع الشرائح والفئات ، وتؤسس لحقائق التسامح كوسيلة مجتمعية وحضارية في إدارة الخلافات والاختلافات المتوافرة. لتكون ثقافة مجتمعية تسود بين جميع فئات المجتمع فضلاً عن سيادتها بين النخب و الاحزاب الحاكمة. ان مفهوم التسامح في واقع الوضع العراقي الراهن لا يعني مطلقا قبول الظلم الاجتماعي او تخلي المرء عن حقوقه بكافة صورها السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية كما انه لا يعني تخلي المرء عن معتقداته او يتهاون بشأنها ومن هنا كان من الضروري التأكيد على ان ثقافة التسامح هي البديل عن ثقافة العنف والالغاء والتهميش.ان ما يجب ان يسلط الضوء عليه هو ان اهمية التسامح تتمثل في كونه ذات بعد وجودي ولتوضيح ذلك يمكن التأكد بأن سنة الوجود قد اقتضت ان يكون وجود الناس على الارض على شكل تجمعات بشريه وهذه التجمعات اتفقت فيما يجمع بينها وبين وحدة الاصل والسعي في اقامة التمدن والعمران والارتقاء .الا انها تباينت فيما تتفرد به كل مجموعه من خصوصية عرقية ودينية وثقافية .وهذا ما يؤكد على ضرورة توافر نظره تسامحيه تأخذ بعين الاعتبار حق الافراد في الاختلاف.

● **أهداف البحث** : يهدف البحث الى ما يأتي :-

١- التعرف على مفهوم ومعنى التسامح كمفهوم نفسي اجتماعي وانثر وبولوجي.

٢- وقفه تاريخيه مع جذور التسامح وثقافة قبول الآخر.

٣- قراءة في التسامح وثقافة قبول الآخر في القانون الدولي.

٤- التعرف على مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تتبنى ثقافة التسامح وتأثيرها على الشخصية العراقية والمجتمع العراقي.
٥- التعرف على آليات تطبيق ثقافة التسامح وقبول الآخر.

● **المفاهيم والمصطلحات العلمية :**

ثقافة التسامح : اذ اردنا تعريف مفهوم التسامح كمفهوم واحد لابد لنا من تعريف مفهومي (الثقافة) ثم (التسامح) ثم ايجاد معنى او تعريف يجمع بينهما. مصطلح culture (ثقافة) بالفرنسية كلمة مشتقة من فعل colere اللاتيني الذي يعني ، في الان نفسه ، "زرع" و "كرَّم". المعنى الاول لكلمة "ثقافة هو زراعة" agri–culture:والمقصود هو زرعُ الارض فنتاج نباتات نستطيع أن نقتات بها ،والثقافة هي الأنماط الظاهرة والباطنة للسلوك المكتسب عن طريق الرموز والذي يتكون في مجتمع معين من علوم معتقدات وقيم وعادات او انها تتكون من النماذج المتصلة بالسلوك وبمنتجات الفعل الإنساني التي يمكن أن تورث[١].ويرى عالم الانثروبولوجيا الامريكي رالف لنتن ان الثقافه تشمل طائفتين اساسيتين من الظواهر هما :

١–السلوك البشري
٢–الأشياء التي تعتبر نتاجا له

فالثقافه هي في قابلية التعلم وتخطي التجربة الشخصية تجعل الانسان خالقا للثقافة ومتكيفا لشروط الحياة فيها،وهذه القدره على التعلم ومن ثم في مرحلة تالية اكتشاف الإنسان قدرته على خلق الثقافة كانت التربة الخصبة التي نشأت فيها امراض "رفض الاخر"كموقف مسبق مخطط واع.(٢)

أما مفهوم التسامح فأنه على الرغم من حداثة استعماله في الأدبيات العربية والعراقية بدلالاته الحالية ألا أن للمفهوم إبعاد (دينية واجتماعية) شكلت محور للكثير من الدراسات التي عنت بأمن المجتمع الفكري والديني ، ومع تنامي المجتمعات وزيادة وتيرة الصراع الداخلي والخارجي ظهرت الحاجة الملحة لإحياء إبعاده الدينية والنفسية والاجتماعية وتطوره ليشمل ثقافة مجتمعية وطريقة حياة لإفراد المجتمع.يشير ابن منظور في لسان العرب الى التسامح والتساهل بأعتبارهما مترادفين فالتساهل هوالتسامح وساهله اي ياسره،وقد جاء في مختار الصحاح(سمح)،اي (جاد)،وسمح له ،اي اعطاه،(٣)ولم يرد فعل (سمح)ومشتقاته في القرآن الكريم،ولكن وردت كلمات تعطي المعنى ذاته ،هي:

١–الصفح:(فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) ،(الزخرف ٨٩/٤٣)
٢–الاحسان:(واحسنوا ان الله يحب المحسنين)، (البقره:١٩٥/٢)

فالتسامح هو الصفح والاحسان والذي يقابله التعنت والتعصب والتطرف والغلو .(٤)

انها النظرة الانسانيه التي لا يمتلكها الا الاسلام فبينما يقبل المسلمون بينهم وجود اديان مغايره لدينهم ويرفضون اكراه احد على ترك ملته ويرضون ان يتآلف المجتمع من مسلمين وغير مسلمين ويشرعون نظما عادله لتطبق عليهم وعلى من في ذمتهم من مسيحيين او يهود.فمن خصائص حضارتنا الاسلاميه انها لا تحكم بالاعدام على الثقافات الاخرى ،والحوار والتسامح هو البديل،واقرار الاسلام بتعدد العقائد، فألا سلام يمد يده لمصافحة الاديان الاخرى لتحقيق العدل ونشر الامن وصيانه الدماء قبل ان تسفك وحماية الحرمات ان تنتهك.

من جانب اخر ميز "ستوب" بين نمطين من التسامح :

١-التسامح الحقيقي Genuine forgiveness

٢-التسامح السطحي Superficial forgiveness

اذ يختص التسامح الحقيقي بالمكونين المعرفي والوجداني ، فيحدث تغيرا حقيقيا في افكار المساء اليه ومشاعره تجاه المسئ حيث ينصرف المساء اليه ذهنيا طواعية عن حقه في الانتقام من المسئ ،ويتخلى عن مشاعر الغضب والغيظ والاستياء ويمنحه الرحمة والموده ولهذا ففي التسامح الحقيقي تستبدل الانفعالات السلبية بأخرى ايجابيه ازاء المسئ وتنبثق لديه مشاعر مشبعه بالامن والحرية ،في حين كان التسامح السطحي يتم التعبير عنه سلوكيا استجابة للضغوط الثقافيه والسياسيه ومجاراة للأعراف الاجتماعية ولهذا لا يستغرق من يعايشه في العمليات المعرفية والوجدانية التي تستثير حدوث التسامح الحقيقي لديه.

وهذا للتسامح مستوياته وأنواعه ،ويتم التسامح والعفو عن الناس على ثلاثة مستويات :اولها كظم الغيظ :وهي عملية نفسيه فيها غضب من الاساءه ،وامتناع ارادي عن الامنتقام من المسئ وتحويل مشاعر الغيظ الى افكار ومشاعر تحمل وتقبل ،فكظم الغيظ ليس حبسا للغضب في النفس ،ولكنه اعلاء له ،وتصريفه في ابتغاء مرضاة الله ،وهو هدف صحي من الناحية النفسية ،وثانيهما الصفح عن الاساءه :وهي عملية نفسيه فيها تقبل إساءة المسئ وتحملها ،فلا نغضب منها ولا نشعر بالاهانه منها ،ونصفح عنه دون توتر او قلق ،فالصفح عن الاساءه افضل نفسيا من كظم الغيظ وثالثهما الاحسان الى المسئ :وهو ايضا عملية نفسيه ولكنها اعلى من الصفح ،ومن تقبل الاساءه والمسئ ،لأن فيها عطاء وموده ومحبة للمسئ واحسانا اليه ودعاء له فألاحسان الى المسئ عمليه نفسيه راقيه ،لا يقدر عليها الا من قوي ايمانه ،وصفت نفسه،وسما تفكيره،وقد دعت اليه الاديان السماويه.(٥)

يتضمن التسامح العديد من المزايا:كتعزيز الثقه بين الافراد ،تحقيق التصالح،تسوية الخلافات والنزاعات ،تحسين الصحه النفسيه،التقليل من المشاعر السلبيه كالقلق والاكتئاب ،فالفرد المتسامح مع ذاته والاخرين ينعم بالاحساس بالرضا وبحياة اجتماعيه جيده مما يجعله فردا منتجا وليس منشغلا بخلافات وصراعات لا داعي لها.(٦)كذلك يعرف التسامح بحرية العقل او الحكم على الآخرين والميل الى تقبل تفكير ومشاعر تختلف عن طرقنا المألوفه ومشاعرنا وعقائدنا كذلك هو استعداد لتقبل الآخر ووجهات نظره فيما يتعلق بأختلاف السلوك والرأي(٧)

اذن التسامح ثقافياً وأجتماعياً : هو سلم داخلي وأيديولوجية فكرية متبناة من داخل قيم وعادات المجتمع لتظهر كسلوك لدى أفراد المجتمع في التعامل مع الاخر في قبوله كآخر ، ومحاولة تغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية وفق مبدأ الحوار والتسامح وقبول الاخر.

وفكرة قبول اللآخر تعني القدره على تحمل الرأي الاخر.والصبر على اشياء لا يحبها الانسان ولا يرغب فيها بل يعدها احيانا مناقضة لمنظومته الفكريه والاخلاقيه .وان في قبول مبدأ التسامح وفكرة التعايش يعني تجاوز سبل الانقسام الذي يقوم على اساس الدم او القوميه او الدين او الطائفه او العشيره او غيرها من الناحيتين النظريه والاخلاقيه على اقل تقدير وبهذا المعنى فأن مبدأ التسامح فكرة اخلاقيه ذات بعد فكري ازاء المعتقدات والافعال والممارسات اما نقيض فكرة التسامح فهو اللاتسامح .اي التعصب والعنف ومحاولة فرض الرأي ولو بالقوة.(٨) ان لتجربة حصار الشعب العراقي لأكثر من ثلاثة عشر عاما و الحروبالتي مرت عليه بحجة نظامه الاستبدادي ووجود اسلحة الدمار الشامل لديه او كونه يسعى لتطويرها و علاقته بالارهاب الدولي، تؤكد ان التسامح لا يقصد منه شعوب وحضارات وان ارتكب حكامها جرائم وآثام فادحه وجسيمه ، فالشعوب هي التي تدفع الثمن في كل مره.فقد سكت العالم طيلة السبعينات والثمانينات في الشرق والغرب عن انتهاكات النظام العراقي المقبور لحقوق الانسان خصوصا انه كان يقوم بدور (مرغوب)في المنطقه وخاصة خلال الحرب العراقيه–الايرانيه (١٩٨٥–١٩٨٨)هكذا يظهر الشعب هو الجاني حيث سدد فاتورة معاناته ففي الاولى كان بين سندان الحصار الذي طحن عظام العراقيين وهدر دمائهم وبين مطرقة الاستبداد الداخلي الطويل الامد وفي الثانيه وقع العراق فريسة الاحتلال والفوضى والتطاحن والعنف خصوصا بعد زرع المحتل لفكرة الطائفيه –الاثنيه مما ادى الى نزاعات وحساسيات وضغائن.بل ان العنف شمل

اوساطا واسعه سياسيه واجتماعيه ودينيه وقوميه ومذهبيه (٨).ان في ذلك الفعل نوع من انواع القسوة دوليا ومحليا حيث الاستلاب الخارجي والقمع الداخلي نقيض التسامح على المستوى الدولي والداخلي بل انه جريمة اباده جماعيه دوليه. ان نشر ثقافة التسامح وسيادة روح الحق في الاختلاف يتطلبان اعادة التفكير في الموروث الثقافي واخذ التراث في سياقه التاريخي واعادة بناء العلاقه بين الثقافه والدوله وبين المجتمع والسلطه وبين الحكومه والمعارضة وذلك كله مسؤوليه جماعيه وفرديه في آن واحد.ومن جانب اخر ان لغياب التسامح يتسبب في انتشار ظاهرة التعصب والعنف وسيادة عقلية التحريم والتجريم في السلطه وخارجها من قبل جماعات التطرف والتشدد سواء على الصعيد الفكري او السياسي او الاجتماعي او الثقافي او ما يتعلق بنمط الحياة .اما فكريا فأن عدم التسامح يعني حجب وتحريم حق التفكير والتعبير بفرض قيود وضوابط تمنع ممارسة هذا الحق .بل تنزل احكاما وعقوبات بالذين يتجرأون على التفكير خارج ما هو سائد سواء كان بقوانين مقيده او عبر ممارسات قمعيه تحت ذرائع شتى.اما سياسيا فأن اللاتسامح هو احتكار الحكم والسعي للسيطره عليه وتبرير مصادرة الرأي الاخر سواء بأسم القوميه او الصراع الطائفي والدفاع عن مصالح الكادحين لأسكات اي صوت وادعاء امتلاك الحقيقه .اما دينيا فأن عدم التسامح يعني منع الاجتهاد وتحريم بل وتكفير اي رأي في ظل تبريرات ضبابيه .ان هوية المجتمع وكيانه ووحدته وتماسكه لا تنفي الصراع والاختلاف والتنوع والتعدديه فألاختلاف هو احد عناصر يقظة الوعي وأحد اركان تنشيطه بما يساعد على التطور والتجدد ولا تستقم هويه الانا من دون هوية الآخر.اما اجتماعيا فأن عدم التسامح يعني فرض نمط حياة معينه بغض النظر عن التطورات العاصفه التي شهدها العالم وما احدثته من انماط متنوعه متداخله واحيانا يتم التخندق بسلوك وممارسات عفا عليها الزمن واصبحت من تراث الماضي.اما ثقافيا فأن اللاتسامح يعني التمسك بالقيم والمفاهيم القديمه والتقليديه ومحاربة اي رغبة في التجديد او اي شكل او نمط للتغييرحتى ان الشعر الحديث يصبح (بدعه وضلالا)بل ضد التراث والتاريخ وربما مؤامره كبرى تستحق الرجم والمعاقبه وتنسحب مثل هذه النظره على باقي الفنون والاداب والموسيقى ---ناهيك عن الحب(٩)ان اي حديث عن قيمة التسامح لا يكون له مردود حقيقي ما لم تتحول القيمه الى ثقافة تحرك السلوك الانساني .ان تنمية ثقافة قبول الآخربالقراءه والثقافه والمعرفة فكلما اتسعت رقعة المعرفه على انواعها اتجه الانسان الى معرفة الآخر خصوصا اذا كانت المعرفه في مجالات

مختلفه.فقراءة علوم الاديان تجعل الانسان اكثر فهما وتفهما للأديان الاخرى خاصة اذا كان البحث من اجل اكتشاف ارضيه مشتركه وليس من اجل اصطياد اخطاء او التعرف على نقاط الضعف لدى الآخر.ان من اهم الامور التي تؤدي الى قبول الآخر هو السعي لتوسيع دائرة الاهتمامات بالتجمعات الانسانيه على انواعها والتي تجعل المرء اكثر قبولا للآخر ويكتشف لنفسه طرقا وسبلا لتنمية قبول الآخر.(١٠)ومع بروز ملامح الحداثه الاوربيه وظهور دولة القانون المدني خلال القرن ١٩ توسع مفهوم التسامح على مجالات الفكر وتعايش الآراء المختلفه (١١)،فالفكر المتسامح فكر متفتح ويحمل افكارا جديده حول العقل والحريه والمساواة وقبول الآخر ونبذ التعصب واحترام الحقوق والحريات الانسانيه.ومن هنا نرى ان الكثير من مضامين الديمقراطيه وحقوق الانسان تنحدر اصولها من التنظير الفكري للتسامح،فالعديد من المفكرين امثال "لوك وفولتير" يعتبرون التسامح دعامه اساسيه للتنظيم الديمقراطي للحكم،وان تنمية ثقافة القوه العقلانيه والقدره على التقدم والتحديث وتنمية قضية الانضباط والمسؤوليه والتسابق للعمل الجماعي وبناء الوحده الوطنيه للشعب الواحد على الاسس الحقيقيه للمواطنه الصالحه وتنمية ثقافة التعلم والقراءه والتفكير العلمي ،كل هذه ستراتيجيات ترسم لتدعيم ثقافة التسامح(١٢) ان التسامح كحقيقه اجتماعيه لا يمكن ان تتجسد بدون تطوير الثقافة المجتمعيه التي تحتضن كل معالم وحقائق هذا المفهوم فالعمل على تطوير ثقافة الحرية والتواصل ونبذ العنف والتهميش والاقصاء هي الركيزه الاساس في تنمية ثقافة الاختلاف والقبول بالآخر ،فلكي يبنى التسامح الاجتماعي وتسود علاقات المحبه والسلم والتصالح لا بد من تنمية ثقافة التسامح القادره على استيعاب الجميع بتنوعاتهم واختلافاتهم الاجتماعيه والفكريه.

ثانيا:التسامح (اطلالة تأريخيه):

ان مفهوم التسامح مرّ بتغييرات كثيره عبر الزمن، ففي عهد الامبراطوريه الرومانيه اثيرت تساؤلات حول الاسلوب الذي ستنتهجه مع بعض الممارسات او المعتقدات المعارضه لها ، وبالمثل فأنه في العصور الوسطى كان حكام اوربا المسيحيه يقومون في الاحيان بتوسيع حدود التسامح كي تشمل طوائف الاقليات الدينيه وفي احيان اخرى لا يقومون بتوسيعها اذ كانت هي نفسها متعصبه. كان باول لودكويك من اوائل المناصرين لسياسة التسامح الذي دافع عن حقوق الامم الوثيه امام مجلس كونستانس احد المجالس التابعه للكنيسه الرومانيه الكاثوليكيه .،وقد برز مفهوم التسامح في نهايات القرن السادس عشرالميلادي في الغرب بعدما رأى الناس ويلات الحروب

الدينيه المتلاحقه في وسط اوروبا.وذلك استجابة لحركة الاصلاح البروتستاني وحروب الاديان والاضطهادات التي اعقبت والتي وجهت الى الكنيسه الكاثوليكيه والتي اثارها مارتن لوثر وقدمت بولندا في تلك الفتره نموذجا فريدا للتسامح وتعدد الاديان وعدم التمييز العرقي واصدر حلف وارسو اول قانون للتسامح الديني في اوربا عام ١٥٧٣ .اما كتابات التسامح في بريطانيا خلال القرن السابع عشر وفي اثناء وعقب الحرب الاهليه الانكليزيه المدمره اقترح جون لوك في كتابيه "رساله في التسامح"و"رساله في الحكم" نظريه اكثر تفصيلا وتنظيما لفكرة التسامح اشتملت على مبدأ الفصل بين الكنيسه والدوله والذي شكل الحجر الاساس لمبادئ الديمقراطيه وكان قانون التسامح البريطاني لعام ١٦٨٩ الحصاد السياسي للجهود المبذوله من قبل واضعي النظريات حول فكرة التسامح في القرن السابع عشر كما كان هذا القانون ضروره سياسيه افسحت المجال لتطور تاريخ التسامح على الرغم من النطاق المحدود الذي كفله هذا القانون اصبح مفهوم التسامح القدره على احترام الآخرالمختلف.وينطوي هذا المعنى على كون المتسامح فيه غير مقبول عند المتسامح من حيث الاصل،لكنه قبل به لأستمرار التعايش مع الآخر،ولا يخفى ان مفهوم التسامح يتعلق بمفهومي الحق والواجب،لان قبول الانسان بشئ يستدعي انشاءه واجبات للغير عليه ،وقبوله بحقوق الغير.ومما يلاحظ في موضوع التسامح في الغرب ان الكنيسه بدأت بالتسامح تحت ضغوط المطالبه والاحتجاج في بدايات القرن السابع عشر ،كما يلاحظ انه قد اقترح الاستبدال بكلمة التسامح كلمة .الاحترام،واقترح اضافة الاحترام الى التسامح لئلا يفهم على انه تساهل من طرف اعلى لطرف ادنى. لقد سعى جون لوك الفيلسوف الانكليزي الذي تفتخر به بريطانيا الى تأسيس قاعدة التسامح والتي تكون بفصل السياسه عن الدين فالتسامح من وجهة نظره ليس ضد الدين او العقل بل هو حل عقلاني لتجاوز الصراع المذهبي كما ميز لوك في التسامح الديني بين التسامح الشكلي المتمثل في احترام شعائر واعتقادات الاديان المختلفه دون اخضاعها لسيطرة هيئة دينيه او سياسيه ،والتسامح الموضوعي وهو الاعتراف الايجابي بشعائر الاديان الاخرى. ومع بروز ملامح الحداثه في القرن التاسع عشر التي تكللت بظهور دول القانون والمجتمع المدني وبروز العلمانيه في ظل ثقافه مجتمعيه نقديه تطورت مفاهيم التسامح بفعل التنوير وحملت جمله من القيم والافكار الجديده حول مفهوم العقل والحريه والحقوق الطبيعيه والفردانيه والتقدم والفصل بين الديني والدنيوي (١٣).اما في العالم العربي فقد بدأت ملامح التسامح ونشر ثقافة قبول الآخر منذ عهد

محمد علي في القرن الثامن عشر .وقد عد الباحثون العرب الطهطاوي اول مفكر عربي علماني بسبب اعجابه بالافكار الغربيه حيث دافع عن حرية الاعتقاد والحرية الفكريه .كذلك برز عدد من المفكرين العرب الذين ناقشوا فكرة التسامح ومن ابرزهم محمد عبده الذي استخدم مصطلح التساهل كمرادف لمصطلح التسامح حيث اكد على ان الاصل في الاسلام هو البعد عن التكفير(١٤) اما في الدراسات الاسلاميه فالتسامح اعطى معنى اكبر واوسع .فالتسامح هو الاتساع في العطاء وغيره.وقد عرفها بعض الفقهاء على انها المساهله والموافقه على المطلوب والصفح عن الذنب.ان التسامح في الاسلام يقوم على اساس معرفة الحقوق والواجبات بدقه تامه.فالتسامح فضيله لا نستطيع ان نلزم به من لا يريده.وهناك الكثير من النماذج التي تعبر عن التسامح الديني في الاسلام منها ،البر بالاسرى مهما كان مقدار الاختلاف معهم .قال تعالى(ويطعمون الطعام على حبه مسكيناًويتيماً واسيراً)(٨)سورة الانسان،ومن التسامح في مجال العلاقات الاجتماعيه الكرم والانفاق في وجوه الخير ،والايثار والمواساة،وحسن الخلق والعفو والاعراض عن الجاهلين ،وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي لتأمين نفقة نساء النبي ،مع كثرة من كان يستطيع ان يأخذ منهم بلا رهن من المسلمين ،ولكنه فعل ليعلم امته التسامح مع من يخالفهم في الدين.ان لغير المسلمين حقوقا اوجب الاسلام الحفاظ عليها كتحريم اموالهم والاعتداء عليهم،ولا يعتبرها الاسلام من باب التسامح بل اعتبروها من باب الواجب وهو ما يدعو اليه ديننا الحنيف.لقد وضع الاسلام حدودا للتسامح فالتسامح لا يلغي الحقوق والواجبات .فالتسامح في امور التعايش،اما الحقوق والواجبات فلا يجب التسامح فيها الا برغبة صادقه،كما اكد الاسلام على ان التسامح وسيله لتحقيق مبدأ وليست وسيله لتحقيق مكسب عاجل فمن الحسن ان تبذل المال لارساء مبدأ قويم ،ومن السئ ان تترك مبدأ من اجل نفع آني،فالتسامح ينطلق من عقيده وليس من فراغ فكلما كان الانسان واضحا في عرض عقائده كلما كان قابلا للتسامح،ان التسامح في الاسلام مبدأ اصيل تدل عليه النصوص ويشهد عليه تاريخ المسلمين في عهد النبوه والخلافه ،ولا ادل على ذلك من منظر المساجد المجاوره للكنائس ،ومن بقاء اصحاب الديانات الاخرى في البلاد التي افتتحها المسلمون(١٥)فالعيش المشترك يتطلب حضور فضيلة التسامح بين الافراد وذلك ما اقره الاسلام منذ ازمنه بعيده،لان الحضاره الاسلاميه انطلقت من تعاليم الاسلام والتي ضربت اروع الامثله في التسامح وقبول الآخر المختلف والتعايش

الايجابي وتعاملها مع كل البشر،فالاسلام يعترف بالغير فردا وجماعه ،ويعتقد ما لهذا الغير من حرية الاعتقاد والتصور.والواقع اذا نظر المرء الى مبادئ القرآن وحرية التدين لا يسعه الا الاعتراف بأن الدين الاسلامي دين التسامح .وذلك ما تدعو اليه الآيه الكريمه "ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (المائده ٩٦) وفي هذا بيان واضح ان الاسلام تسامح مع بقية الطوائف (١٦) ومن هنا نرى ان مفهوم التسامح من المصطلحات المثيره للجدل.لانه من المصطلحات التي تستخدم في السياقات الاجتماعيه والثقافيه والدينيه لوصف مواقف واتجاهات تتسم بالتسامح .ومن الناحيه العمليه فالتسامح يعبر عن تدعيم الممارسات والافعال التي تحظر التمييز العرقي والديني وفي المقام الاول يعبر عن حقوق الانسان مثل التعبير عن الرأي والتنظيم والمساواة للجميع امام القانون واحترام وقبول رأي الاغلبيه والاستعداد للسماح بالتعبير عن الافكار والمصالح التي تتعارض مع افكارنا ومصالحنا .ان الحديث عن التسامح بين الشعوب بمختلف مواضعه سواء كان تسامح ديني او ثقافي او سياسي لا يتم دون لجوء كل شعب من هذه الشعوب الى رسم ستراتيجيه خاصه تأخذ بعين الاعتبار التبادل الثقافي واحترام خصوصيات الشعوب وتفهمها فمن الضروري الاعتراف بالآخر وقبوله لتحقيق السلم الاجتماعي والامن بين المجتمعات الانسانيه.

ثالثا:التسامح وقبول الآخر في القانون الدولي:

سعت الامم المتحده منذ تأسيسها عام ١٩٤٥ في مؤتمرسان فرانسيسكو الى تعميم فكرة التسامح وقد نص ميثاقها على ذلك في ديباجته حين جاء فيه "نحن شعوب الامم المتحده وقد آلينا على انفسنا ان ننقذ الاجيال المقبله من ويلات الحرب من خلال جيل واحد جلبت على الانسانيه مرتين احزانا يعجز عنها الوصف وان نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق الاساسيه وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساويه" في حين صدر الاعلان العالمي لحقوق الانسان عام ١٩٤٨الذي يعتبر وثيقه ذات قيمه حضاريه اكد على مبدأ التسامح حيث نصت مادته الاولى على ما يلي "يولد جميع الناس احرارا متساوين في الكرامه والحقوق وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم ان يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء ".وخلال العقود الخمسه الماضيه دخل مفهوم التسامح في العديد من الوثائق الدوليه وبخاصة العهد الدولي المتعلق بالحقوق المدنيه والسياسيه الصادر عام ١٩٦٦ من الامم المتحده.ودعت الامم المتحده ايضا الى

ارساء ثقافة التسامح ومقاومة التعصب واتخذت قرار يقضي بتعيين مقرر لتقصي مظاهر التعصب للقضاء على هذه الظاهره .اما اعلان مبادئ التسامح الصادر عن منظمة اليونسكو والذي يعتبر تطورا دوليا مهما بخصوص فكرة التسامح حين اشار الى ان التسامح بأعتباره من المرتكزات الاساسيه لكل مجتمع مدني والعمل من السلم يقتضي الاعتراف بالآخر وتقديره والتعايش والتواصل مع الاخرين ويمضي الاعلان لتفسير مفهوم التسامح فيقول "انه الوئام في سياق الاختلاف وليس واجبا اخلاقيا فحسب وانما واجب سياسي وقانوني فالتسامح اتخاذ موقف ايجابي فيه اقرار بحق الاخرين في التمتع بكافة حرياتهم "(١٧)لقد تم عقد العديد من المؤتمرات والندوات في السنوات الاخيره نتج عنها اعلان سنة ١٩٩٥ سنه دوليه من اجل التسامح وقد انيطت لمنظمة اليونسكو مهمة اعداد وثيقة اعلان مبادئ حول التسامح واقيمت عدة لقاءات ومؤتمرات وقيام حملة اعلاميه حول اشكال التسامح واللاتسامح الجديده في العصر الحديث بهدف تعزيز التفكير الاخلاقي في سبيل تجنب الآثار السلبيه للحداثه وانعكاساتها على الثقافات والمجتمعات المعاصره

لقد بينت وثيقة التسامح لعام ١٩٩٥ ان التسامح ممارسه ينبغي ان ياخذ به الافراد والجماعات والدول .ومن هنا اكدت الوثيقه على الدور المهم والرئيسي للدول نفسها لنشر وممارسة ثقافة التسامح والتعامل بها مع مجتمعاتها كما بينت الوثيقه الابعاد الاجتماعيه واثرها على الجماعات نتيجة للحياة المعاصره وثقافاتها المختلفه .وقد افردت الوثيقه بندا خاصا حول مبادئ التسامح في التعليم بأعتبار ان التعليم :

* انجع الوسائل لمنع اللاتسامح ،لان اول خطوه في مجال التسامح ،هي تعليم الناس الحقوق والحريات التي يتشاركون فيها لكي تحترم هذه الحقوق والحريات ،فضلا عن تعزيز عزمهم على حماية حقوق وحريات الاخرين.

* ان التعليم في مجال التسامح ضروره ملحه ،ولذا يلزم التشجيع على اعتماد اساليب منهجيه وعقلانيه لتعليم التسامح تتناول اسباب اللاتسامح الثقافيه والاجتماعيه والاقتصاديه والسياسيه ،وينبغي ان تسهم السياسات والبرامج التعليميه في تعزيز التفاهم والتضامن والتسامح بين الافراد وكذلك بين المجموعات الاثنيه والاجتماعيه والثقافيه والدينيه واللغويه وفيما بين الامم.

* ان التعليم في مجال التسامح يجب ان يستهدف مقاومة تأثير العوامل المؤديه الى الخوف من الآخرين واستبعادهم ،ومساعدة النشئ على تنمية قدراتهم على استقلال الرأي والتفكير النقدي والتفكير الاخلاقي

* تتعهد اليونسكو في الفقره الاخيره الخاصه بالتسامح في مجال التعليم ،بمساندة وتنفيذ برامج للبحوث الاجتماعيه وللتعليم في مجال التسامح وحقوق الانسان واللاعنف ،بما يعنيه ذلك من ايلاء عنايه خاصه لتحسين اعداد الكادر التدريسي في جميع المراحل والمناهج الدراسيه وغيرها من المواد التعليميه بما فيها التكنولوجيا التعليميه الجديده بغية تنشئه مواطنين مسؤولين ومنفتحين على ثقافات الاخرين يقدرون الحريه حق قدرها ،يحترمون كرامة الانسان والفروق بين البشر ،قادرين على درء النزاعات او حلها بوسائل غير عنيفه.(١٨) ان تحديد اليونسكو للتسامح قريب من التصور الاسلامي للتسامح حيث تقرر اليونسكو ((انه يتفق تماما مع احترام حقوق الانسان بالقول بأن الاخذ بالتسامح لا يعني التسامح تجاه الظلم الاجتماعي ،او تنازل الانسان عن معتقداته ،او التغاضي عن بعضها ،انه يعني ان تكون للانسان الحرية في التزام ما يعتقده وقبول حرية الآخر في الالتزام بما يعتقده ،انه يعني قبول حقيقة ان البشر بحكم الطبيعه يختلفون في صورهم واوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم ،ولهم الحق في ان يعيشوا في سلام وان يكونوا كما هم .التسامح يعني تسليم الانسان بأن عقائده يجب ان لا تفرض على الآخر))(١٩).

ان استعراض المواثيق والقوانين الدوليه انما يعتبر مرجعيات تشريعيه تم اقرارها في ديباجات رسميه والتي عملت على خلق تواصل وتفاعل بين المفهوم الاخلاقي والمفاهيم القانونيه والحقوق الانسانيه على المستوى الدولي .

رابعا : ثقافة التسامح ومؤسسات التنشئة النفسية والاجتماعية :

تنضوي ثقافة التسامح على بذل الجهد على النفس جهد طويل ومنهجي وعقلاني والقصد هو تنمية الملاكات النفسانية والروحية والفكرية التي ينتج للفرد تبني موقف لا عنفي في حياته الشخصية وفي علاقاته وتفاعلاته اليومية ، كما في الحياة الاجتماعية والسياسيه[٢٠].

تهدف ثقافة التسامح الى نشر قيم تمس لاحترام حقوق الكائن الانساني فقط والتي تجسدها ايضاً في مؤسسات تضمن هذا الاحترام. فتنمية ثقافة لا عنفية يعني البحث عن سبل تطبيق لا عنفي لنفوذ سلطة في جميع المواقف المقدرة بهذا فأن ثقافة التسامح تكف عن الفصل بين الحياة الخاصة والحياة السياسية لابل تتيح للجمع بينهما اخيراً في مناقبية واحدة.

ولكي ينمو التسامح ويكون له تأثيره الحقيقي على مجرى الحدث يحتاج الى وسط انساني يوجد جواً فكرياً و روحياً ملائماً لفتح قنوات هكذا ثقافه والتي تكون ايضا من مسؤولية

الجميع[٢١]. فثقافة التسامح لا تعني تجاهل التناقضات الاجتماعية سواء كانت بين فئات اجتماعية او بين شرائح طبقية او بين قوميات... الخ ولكنها تعني اعتماد اسلوب سلمي في حل جميع تلك التناقضات ويكون مبنيا على التسامح ومناهضة أي توجهات عنيفة داخل المجتمع.ومن هنا كان لا بد من توضيح اركان التسامح الذاتيه والموضوعيه والتي يكون لها الاثر الاكبر في رسم ستراتيجيه لمؤسسات التنشئه الاجتماعيه في تبني ثقافة التسامح وقبول الآخر .

١-*سلامة القلوب*: والتي تمثل طهارة القلوب بأعتبار ان التسامح يتم اولا في ساحات القلوب ،قبل ان تدون في النصوص،واذا كانت القوانين الجنائيه لا تجرم امراض القلوب التي تفتك بأصحابها فتكا قبل ان يمتد ضررها الى الغير فأن الاسلام حرمها وحذر من التلطخ بأوساخها، وعلى غرار ما يجري داخل المجتمعات فأن غياب التسامح يتغذى في العلاقات الدوليه من امراض القلوب العابره للحدود ويتعلق الامر اساسا بألاحقاد المتبادله والحسد والاستكبار ،علما ان تلك التغذيه متبادله فيما بين هذه الادوار .فبالنسبه للحقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا كيف نسأل الله عز وجل ان يطهر قلوبنا من الاحقاد حيث ثبت في الحديث الصحيح للبخاري واحمد في مسنده انه صلى اللع عليه وسلم قال "رب اجعلني شكارا لك ،ذكارا لك ،رهابا لك،مطيعا اليك،مخبتا اليك ،اواها منيبا .رب تقبل توبتي ،واغسل حوبتي ،واجب دعوتي ،واهد قلبي ،وسدد لساني،وثبت حجتي،واسسلل سخيمة قلبي" والسخيمة :الحقد والحقد كما عرفه ابن منظور:هو امساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها ولذا قيل بأن الحليم ليس هو الذي ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ،ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر عفا.

٢-*الاصل المشترك والكرامة الانسانيه والمساواة* :عندما يتذكرالانسان الاصل المشترك للأنسانيه ،لا يبقى مجال للاسكتبار والاستعلاء وتهميش الآخر،والباهي بالانساب والاعراق ،قال تعالى "يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء"(سورة النساء : (١).

٣-*حرية العقيده*:لا اكراه في الدين:قول الله سبحانه لا اكراه ولا غصب في قضيه الايمان اي لا تكرهوا احدا على الدخول في دين الاسلام فأنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج الى ان يكره احد على الدخول فيه ففي هذا المبدأ يتجلى تكريم الخالق عز وجل للانسان واحترام الآخر لفكره ولارادته ولحقوقه.

٤- *حرية ممارسة الشعائر الدينيه وحرية الرأي والتعبير وقبول الآخر*:لقد بلغ التشريع الاسلامي غاية السمو عندما قرر حرية

ممارسة الشعائر الدينيه لغير المسلمين في بلاد المسلمين .ففي اي بلد اسلامي يستطيع غير المسلم ان يعلن عن عقيدته ،وان يمارس شعائره الدينيه ،وان يقيم المعابد والمدارس لدراسة دينه ،فلليهود في البلدان الاسلاميه معابدهم التي يتعبدون فيها بطرق رسميه ولهم مدارسهم .(٢٢)

ان ثقافة التسامح لم تعد ترفا فكرياً ولا دعوة برجوازية حالمة لقد اصبحت ضرورة مصيرية لفتح طريق التطور السلمي والتحول الديمقراطي ولا يمكن لمثل هذه الثقافة ان تنتشر وتتوطد دون بذل جهود مضنية في خلايا المجتمع الحية كلها لا سيما الاسرة والمدرسة اللذان يعدان اساس المجتمع وبهذا يشكلان مؤسسات او عوامل للتنشئة الاجتماعية لتبني هذه الثقافة الجديدة والتي سنتناولها بالشرح كما يأتي.-

● *الاسرة وثقافة التسامح :*الاسرة هي البيئة الاجتماعية الاولى للطفل وهي الوحدة الاجتماعية الاولى التي يحتك بها ويكتسب منها معظم سلوكياته الاجتماعية ، وينشأ الطفل في محيطها وجوها متعلماً ومثقفاً بفن التعامل والتعاون والانسجام والتوافق والمنافسة ،وخلال سنوات التكوين الاولى ينمو لدى الطفل الاحساس بالانتماء الديني وهو قضيه ثقافيه حساسه تتوقف فاعليتها على الزمان والمكان اي على المستوى الاجتماعي والوعي الفكري في المجتمع الصغيراو الكبير .وغالبا ما تتشكل في البيت خصوصا اذا كان الوالدان متدينين فيحرصان على تلقين الطفل فروض العباده من الصلاه والصوم ،وتعليمه تدريجيا النصوص الدينيه ليتبلور وجدانه الديني وفق مداركه ومراحل نموه وينتج عن ذلك ردود افعال تجاه الحياة والناس لا حصر لها ، ويشعر كونه فرداً في جماعة تقوم بينهم علاقات اجتماعية ، وينمو وعيه الاجتماعي بالضوابط المقررة اجتماعياً. ففي الوسط الاسري تتحقق هوية الانسان الاولى. ويدخل أفراد الأسرة جميعاً في محيط حياة كاملة من التفاعلات الأنسانية وعلى ضوء مستوى ثقافة وفن تعاملهم مع بعضهم تتكون شخصياتهم فالأسرة التي تتعامل مع ابنائها بدراية وتمتلك تجربة تربوية ، وتراقب سلوك كل واحد منهم وتعترف بشخصيته وتحقق له حاجاته السياسية وتشبعها يسود بينهما نوع من الألفة والمحبة والتعاون والانسجام لأنها اتبعت أساليب التربية والتعامل الصحيح أن أشاعة ثقافة الحوار إنما تبدأ من الأسرة فالاسرة لها اثر كبير في هذا الجانب لاسيما بين الآباء والأبناء.

ولذلك فأن استخدام الانماط السلوكية وتكرار استخدامها يكسبها الصفة التلقائية فيتبعها االفرد ويستجيب لها كمتطلبات مجتمعه دون مواجهة صعوبات تذكر. لذا تعد الأسرة هي المغذي الأول للثقافة لدى أبناء المجتمع ويتوقف عليها مد بناء المجتمع العراقي

بثقافة جديدة عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية ثقافة تؤمن بنهج المسامحة والمساهمه في حل جميع الخصومات. ويتم ذلك من خلال إشاعة روح الوئام بين أبنائها وإتباع الممارسات اللاعنفيه في حل جميع المشاكل التي تواجه الأسرة[٢١].ان قبول الآخر في مجال الدين اولا يفتح المجال لانفتاح عقلي ازاء القوميات الاخرى والمختلفه ،وخاصة تلك التي يجمعها وطن واحد –كالعراق–حيث تكون نقطة البدايه هي اللقاء بالآخر ومن ثم الحوار معه مما يتحول الى فهمه وبالتالي التعاون والوفاق معه لأنهم منتمون لارضيه مشتركه مما ترتقي بعدها لأنتماءات ارقى مثل حقوق الانسان والديمقراطيه والبيئه وحب الفن والرياضه وما اشبه.كل هذه الانتماءات ينسحب تأثيرها على الافراد والتي بالتالي تؤدي الى دفء اجتماعي وترفع مستوى المشاعر الانسانيه فالأنتماء الى الوطن هو اعلى وارقى واهم الانتماءات .ومع كل هذا على الاسره ان تراعي جوانب يكون من خلالها الوصول بالطفل الى تنمية ثقافة التسامح وقبول الآخر من خلال:

١-بالعدالة بين الأبناء والتي تساهم في تعرف الطفل والمراهق بحقوقه وحقوق الآخرين.

٢-تعزيز التنافس الصحيح الذي ينمي لدى الأولاد الاعتراف بمهارات الاخرين وما يمتلكونه من قدرات فقد يكون من الضروري أن نعلم الأبناء تقديم التهاني في المسابقة إلى الفائزين فهذه تعمل على تعزيز الشعورلديه بحب الآخرين واحترامهم وتمني الخير لهم مما يساعد في تدريب الأولاد على مقدمات التسامح والعفو وهناك شيءمهم يجب أن يعرفه الأولاد أن التسامح ليس الانسحاب من الموقف وهو ليس ضعفاً بل قوة تحتاج الى تعبئتها في المواقف المحرجة.

٣-تعزيز الثقة بالنفس لدى الاولاد وإشعارهم بقدراتهم وطاقاتهم وعدم تعزيز الشعور بالنقص خاصة في مواقف الخطأ والفشل وإذا كان تقدير الطفل والمراهق لذاته سليماً صحيحا فأنه سوف يتقبل مسألة الخطأ والفشل وسينظر إلى نفسه على انه إنسان معرض للزلل والفشل وكذلك الاخرين وبالتالي فالفهم الصحيح للنفس يقود إلى فهم صحيح للآخرين الامر الذي يقود إلى تقبل أخطاءهم والتغافل عنها في مواقع القدر(٢٣).

نستنتج مما تقدم ان لغة الحوار والتدريب على مهارات الاستماع دورا كبيراً في التنشئة الاجتماعية لابنائنا ، فأذا استمعنا لأولادنا وهم يعللون أخطاءهم ويبررون تصرفاتهم فان ملكة الأنصات للآخرين ستقوى لديهم مما يجعلهم مستمعين جيدين ألخطاء الاخرين وتقبل آراءهم والنظر بعمق لما يقوله الاخر. ويجب أن يتعلم كيف يأخذ حقوقه

المشروعة ويعرف نظرة الاخرين بعمق لما يقوله الآخر. ويجب أن يتعلم كيف يأخذ حقوقه المشروعة ويعرف نظرة الآخرين إليه فلو تحاور وتسامح مع الآخر لابد وان تكون النظرة إليه على انه طفل شجاع استطاع أن يعفو ويغفر. لذا تبقى دائما العلاقات الاسرية هي نبراس هذه الثقافة وهي المرآة المعكوسة على الأولاد في تبني ثقافة اللاعنف. وهي أولاً وأخيراً مسؤولية الاباء في تعزيز هذه الثقافة.ان الوظيفه الاساسيه للحوارات الاسريه ايجاد التماسك والتفاهم والاحترام المتبادل فحينها تصبح الحوارات ماده ممتعه ولذه دائمه .هذه الوظيفه تعتبر صمام امان للأسره والمجتمع فقبل ان تنمو الافكار الشاذه والميول العدوانيه والاتجاهات المتطرفه في نفوس ابنائها تعالج بالحكمه والبصيره من خلال هذا الحوارات الحرة والتي عن طريقه يعالج الاخطاء بفاعلية في بداياتها ،ان المسارات الحواريه تعتبر منابع ثقافيه ومنابر فكريه تنمي الملكه النقدية عند الناشئه وتولد اتجاهات متقاربه فأذا انتشر في الاسره هذا التعامل والحوار المفتوح كان خيرا للمجتمع الذي ينهض بحسن التعامل فهو طريق التفاعل الحضاري واساس العطاء الانساني.

- *التعليم وعلاقته بثقافة التسامح :*لقد غدا التعليم من أجل نشر ثقافة السلام والتسامح في المجتمع العراقي ضرورة ملحة ، فالتعليم مطلوب منه اليوم أن يهدف الى :-

مقاومة الخوف ، تنمية قدراتهم ، تعزيز التفاهم والتظامن ، تطوير المناهج الدراسية. حيث يلعب التعليم دورا اساسيا ومركزيا في تعميق حقوق الانسان حيث نصت عليه الصكوك الدوليه وربطته بتعزيز قيم التسامح والتفاهم بين الشعوب بدء من ميثاق الامم المتحده مرورا بالاعلان العالمي لحقوق الانسان والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه وصولا لأعلان مبادئ التسامح فالتعليم حسب ما طرحته هذه المواثيق اكثر الوسائل فعاليه في منع التعصب ،حيث يعتبر الخطوه الاولى في تعليم التسامح في توعية الناس بحقوقهم وحرياتهم وحريات الآخرين وتعزيز ارادة احترام الاخرين وحقوقهم فالتربيه على حقوق الانسان ليست تربيه معرفيه بل هي تربيه قيميه بالدرجه الاولى فالتربيه والتعليم تتوجه بالاساس الى السلوك ولا تكتفي بحشد الذهن فقط بمعلومات حول الكرامه والحريه والمساواة والاختلاف ،بل تقوم على اساس ان يمارس المتعلم تلك الحقوق وان يؤمن بها بالدرجه الاولى ،وان يعترف بها كحقوق للاخرين وان يحترمها كمبادئ ذات قيمه عليا ،انها ليست تعليم معارف فقط وانما هي تربيه وتعليم للقيم الحياتيه ،ومن هنا يبرز دور المعلمين في هذه المهمه ويتوقف نجاحهم فيها على درجة تقديرهم لقيمة التسامح.

من جانب اخر ينبغي أن تسهم السياسات والبرامج التعليمية والمناهج الدراسية ، ومضامين الكتب المدرسية والدروس وغيرها من المواد التعليمية في تعزيز التفاهم والتضامن والتسامح بين الأفراد والمجتمعات ومحاربة العنف والتطرف. وهذا ما دعا أليه اليونسكو حين أكد على ضرورة ((تحسين نوعية المناهج المدرسية بإدارج القيم الإنسانية لتحقيق عملية السلام والتلاحم الاجتماعي ، واحترام حقوق الانسان والكرامة الأنسانية ، وأن تكون عملية تطوير المناهج الدراسية قائمة على المشاركة)) وفي هذا الصدد تؤكد الاتجاهات التربوية الحديثة على نشر المعرفة الاساسية بثقافة السلام والتسامح في المناهج المدرسية اندماجها بالقيم العامة من خلال المناهج الدراسية المدرسية والجامعية ، ومن أكثر النماذج فاعلية على المدى الطويل في أحداث التحول الاجتماعي الايجابي ، وإيصالها المعرفة السياسية بثقافة السلام والتسامح إلى كل فرد من افراد المجتمع وإدخالها في ثقافتهم وجعلها جزءا من حياتهم اليومية. كما يجب أن يسود في المؤسسات التربوية ديمقراطية تعامل التدريسين مع الطلبة لتسود ثقافة الحوار وان يتم التعامل بحرية في أبداء الرأي. ليتعلم الطلبة احترام الحوار وجدواه في أبداء آرائهم المختلفة وليتملكوا شجاعة في بيان اختلافهم[٢٤].

أما بالنسبة الى التعليم الجامعي فيعد الشباب الجامعي الثروة الحقيقية للمجتمعات وتعد المهمة الاساسية للجامعة تكوين جيل مرتبط بثرواته ومتمكن من مواجهة التحديات والتطورات المحلية والكونية وخلق بيئة مؤاتية للناس لتوسيع خياراتهم وان يتمتعوا بحق الوصول الى المعرفة وان يتمكنوا من العيش بسلام ووئام في مجتمعهم الجامعي والمحلي والوطني والكوني ولا تستحق هذه الخيارات الاساسية من غياب نظام قيم التسامح والتعايش بسلام وتمسي فرصاً عديدة بعيداً عن المتناول. ان الجامعة مؤسسة اكاديمية مستقلة منوط بها العديد من الادوار والمهام في المجتمع وذلك من خلال انتاج المعرفة وحفظ التراث والثقافة والقيم وصيانتها ونقلها من جيل الى آخر ويشمل عمل الجامعة عددا كبيراً من الافراد الذين يتفاعلون ضمن شبكات اجتماعية بشكل رسمي وغير رسمي داخل الجامعة وخارجها.

وقد اشار تقرير التنمية البشرية في العالم لعام (٢٠٠٧) الى ان افضل استثمار هو في التعليم والشباب لانهم يشكلون الشريحة الاكبر في المجتمعات. والتعليم من اهم مراحل الحياة التي تساعد على اطلاق تنمية امكانات الشباب بألاضافة الى العمل والحفاظ على الصحة والعافية وتشكيل الاسرة وممارسة المواطنة وكل ذلك يتطلب تهيئة الشباب للاستثمار في انفسهم ،الا ان احباط

الشباب قد يتحول الى سلوك متسم بالعنف مما يؤدي الى عدم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي وهذا يستدعي اشراك الشباب في اتخاذ القرارات. وهنا لابد من تحصينهم بثقافة التسامح ليتمكن المجتمع من القيام بوظائفه بتناغم وبتكامل بين فئاته الاجتماعية على الرغم من الاختلافات التي يمكن بقيم التسامح تحويلها الى عناصر قوة للمجتمع وللانسانية عامة.

ان ثقافة التسامح في المجتمع الجامعي والذي يمتاز انه مجتمع متنوع يحوي نسبة عالية من الشباب وخاصة في فئة العمر من (١٨-٢٥) هذه الفئة التي تعيش مرحلة ازمات شخصية ونفسية وتكيفية واجتماعية كما ان الجامعة تحوي شريحة كبيرة من ذوي الخبرة والمهنية العالية (المدرسون) والذي يكون لهم الدور الاكبر في غرس قيم التسامح والتي تعد المحدد الاساس لمواقف الطلبه الاجتماعيه والتفاعليه، فالجامعة مجتمع متحرك ومتجدد ومستويات ثقافية متنوعة. وهذا التنوع في الجسم الجامعي هو احد اهم مقومات الجامعة وقوتها العلمية والمؤسسية والمجتمعية كما انها المصدر الرئيس لتبني قيم التسامح وغرسها في نفوس الطلاب حيث تلعب دورا بارزا في حل الصراعات واتخاذ القرارات وتحدد انماط السلوك المثالي الذي يعد وسيله لتحقيق الاهداف المرجوه او المرغوب فيها وتساعد على التكيف وضبط النفس. ان غياب التسامح يشكل بيئه خصبة لنمو العنف وخاصة عندما يتم تعميق الاحساس بالحتميه حول هوية يزعم انها فريده . لذلك يمكن القول ان من اهم اهداف الجامعة هو تعميق القيم الاسلامية والتعامل مع الاخر وتكوين بيئة جامعية متصالحة مع ذاتها متفاعلة مع محيطها اضف الى ذلك بأن الشخصية الجامعية تبنى على اسس احترام للرأي الآخر والتقدير للصفات الايجابية الاخرى لدى الغير واحترام لحقوق الآخرين اضافة الى احترام قيمة التنوع والاختلاف ونبذ العنف والاكراه والبحث عن التعايش المتناغم[٢٥].

كما عد التعليم من انجع الوسائل لغرس قيم التسامح واول خطوه في مجال التسامح هي تعليم الناس الحقوق والحريات التي يتشاركون فيها فضلا عن تعزيز عزمهم على حماية حقوق وحريات الآخرين .لذا يلزم التشجيع على اعتماد اساليب منهجيه وعقلانيه لتعليم التسامح تتناول اسباب عدم التسامح الثقافيه والاجتماعيه اضافة الى البحث في الجذور الرئيسيه للعنف والاستبعاد وينبغي ان تسهم السياسات والبرامج التعليميه في تعزيز التفاهم والتضامن والتسامح بين الافراد والمجموعات الاثنيه والاجتماعيه والدينيه ،كما يجب ان يساهم التعليم الجامعي بمقاومة تأثير العوامل المؤديه الى الخوف من الآخرين واستبعادهم ومساعدة النشئ

على تنميه قدراتهم على استقلال الرأي والتفكير الاخلاقي .(٢٦)

نستخلص مما تقدم ان اهمية التعليم في الاسهام في تكريس ثقافة التسامح بوصفها استراتيجية في عملية التنشئة الاجتماعية التي تعمل عليها المؤسسة التربوية والمجتمع العراقي احد تلك المجتمعات التي تأثرت بشكل ملحوظ بتيارات العولمة بعد الانفتاح الثقافي واستخدام افراده لأدوات العولمة من الستلايت والانترنيت والهاتف النقال الدولي. الذي ظل ممنوعاً طيلة الفترات السابقة ، مما جعل ابناء المجتمع العراقي في عزلة عن تيارات التحديث التي تجري في دول العالم المتطور. هذا الانفتاح ترك أثار ايجابية ونتائج مثمرة في بنائه الثقافي والاجتماعي ، فالمجتمع العراقي أصبح بإمكانه الاتصال بأي مجتمع في العالم ، والاستفادة من خبرات المجتمعات المختلفة ، وتطوير ميادينه ومؤسساته. أن مثل هذا التفاعل بين الثقافات العالمية ينبغي أن يؤدي في النهاية الى تقارب عملي قوامه وضع مجموعة من الثوابت الثقافية التي تعمل الثقافات جميعها على احترامها وتعميق جذورها.

كما يتفق العديد من الباحثين على أن الثقافة من أخطر الوجوه الحضارية المتأثرة بالعولمة ، ولم ينحصر الأمر في اقتصاديات العولمة بل طالت وبسرعة شديدة ونسبية عالية هذه العولمة ثقافات الشعوب وقيمها وعاداتها.

ونتيجة هذا التأثير في الثقافة العراقية فقد أدخلت العولمه أنماط ثقافية تعد حديثة على البناء العراقي جعلت العراقيين أكثر دراية بأهمية العمل اللاعنفي في الممارسات السياسية والاجتماعية نتيجة الاطلاع على التجارب اللاعنفية في العالم واستنباط استراتيجيات هذا العمل الذي بدأت تؤمن بجدوى تحقيق تلك الثقافة للأهداف المنشودة منها .فمن معاني التسامح قبول الآخر والتعايش مع الآخر ،واحترام الرأي الآخر :والاقرار بالاختلاف معه ،وقبول التنوع ،كما يعني احترام خصوصيات الاقليات العرقيه والاثنيه ،فالمجتمع الجامعي مجتمع مختلف ومتباين ،وهذا الاختلاف عنصر قوة للجامعه يعزز تلاحمها وتكاملها ،فالتعايش بين الفئات الاجتماعيه المختلفه في الجامعه مؤشر على التناغم والامن في البيئه الجامعيه،فالبيئه الجامعيه بيئه حرة ،وآمنة للجميع لأبداء الرأي وممارسة المعتقد وتعلم المعرفه والمهارات الحياتيه.ومن هنا نستطيع ان نستوحي بأن التسامح يمثل الحد الادنى لجودة العلاقات الانسانيه ،وبه يتجنب العنف والاجبار والكره ،وبدون التسامح فأن السلام عامة والسلام الاجتماعي غير ممكنين ،فالتسامح معزز لثقافة السلام بين الافراد ،والجماعات والتجمعات ،وحرية الاختيار والتفكير الحر ،ولا بد هنا من استعراض لأهم اشكال التسامح في المناهج الجامعيه:

*اللغه:شيوع لغة المحبه والسلام والاحترام ،وغياب اللغه المتحيزه والعرقيه والمبنيه على النوع ،واحترام لغة الاقليات.

*النظام العام:الانصاف والعداله بين جميع الافراد ،وعدالة الوصول للخدمات العامه ،والنشاطات والمساعدات الطلابيه ،وتساوي الفرص المتاحه للطلبه دون تحيز مبني على عرق او نوع او دين.

*العلاقات الاجتماعيه :والتي تكون مبنيه على الاحترام المتبادل واحترام الكرامه الانسانيه للجميع.

*العلاقه بين الاغلبيه والاقليه:اي احترام الطالب للطالب بغض النظر عن جماعته التي ينتمي اليها.وادماج الاقليه وتجنب استبعادهم

*المشاركه:بمعنى اتاحة الفرص للجميع في الوصول للفعاليات والنشاطات المرافقه لأي منهاج يطرح.

*المناسبات الثقافيه :اي المشاركه في المناسبات الوطنيه والثقافيه ومن كافة الشرائح.

*الممارسات الدينيه :والتي تكون بحريه ممارسة الشعائر الدينيه لدى جميع الطلبه (٢٧).

ومن هنا نرى ان الهدف الاساسي من التعليم هو تقدير واحترام الكرامه الانسانيه ووحدة الجسم الطلابي وتعزيزثقافة التسامح الايجابيه وفي الوقت ذاته تعمل على محاربة قيم عدم التسامح للمحافظه على النسيج الجامعي ككل.

خامسا : ثقافة التسامح وقبول الآخر وسبل تطبيقه في المجتمع العراقي.

هناك آليات لابد من اخذها بنظر الاعتبار والتركيز عليها لتطبيق ثقافة التسامح في المجتمع العراقي وهي كالآتي :

أ- الديمقراطية :

كلمة الديمقراطية تعني بحسب معناها الاشتقاقي (حكم الشعب نفسه ولنفسه) حكما يحترم حريات الكائن الأنساني وحقوقه ، حريات كل كائن وحقوقه ، وحريات جميع البشر وحقوقهم. ولكن ينبغي على الشعب ، لتحقيق الديمقراطية ، أن يعتنق الفريضه الأخلاقية التي تؤسس للمثال الديمقراطي وهي ثقافة قبول الآخر على اختلافه والأيمان بأخلاق التسامح والاعتراض السلمي المستند على ثقافة التسامح. فالديمقراطية مفهوم واسع ساهم في إثرائه عبر عقود طويلة من الزمن الكثير من المفكرين السياسين كل حسب نظره لهذا المفهوم فجاء اطار كبير يجمع في داخله العديد من التيارات الفكرية التي تتفق على بعض الخطوط العامة وتختلف في معظم التفاصيل [٢٨]،ان تبلور ثقافة التسامح والحق في الاختلاف كانت علامه فارقة في تبلور اللبنات الاولى للمارسة الديمقراطيه حيث يجسد مبدأ التسامح مبدأ التعدديه والذي يأخذ كامل

موقعه في صرح البنيان الفكري الديمقراطي من كون تجارب الانتقال الديمقراطي في الاقطار الناميه فخلال العقود الماضيه تميزت في المقام الاول من الانتقال الى انظمة الحزب وهيمنة الرأي الواحد الى انظمه تقر بالتعدديه في كل مجالات العمل الفكري والسياسي والاعلامي، بيد أن الديمقراطية تبلورت بمرور الزمن في الديمقراطيات الحديثة المطبقة بشكل او بآخر في الغرب والتي دخلت العراق بعد عام ٢٠٠٣م من عملية تغيير نظام الحكم في العراق اذ عملت على تأسيس سلطة تدار من خلال حاكم مدني يتولى هذا الحاكم استصدار القرارات وبمساعدة (مجلس حكم) كان جل اعضائه تقريباً من رؤساء الأحزاب الكبيرة والفاعلة ، وماحصل فعلاً ان تقاسمت تلك الأحزاب السلطة عن طريق قيادتها للعملية السياسية بمراحل متعاقبة كل ثلاثين يوماً بعد حكم شمولي دام اكثر من ثلاثة عقود. كل هذه التغيرات جعلت العراق امام تحول ديمقراطي قسري، وربما نستطيع ان نعده واحداً من أنماط التحول الديمقراطي الذي شرع قانون تعدد الاحزاب وهو ماتؤكده الدساتير في الدول الديمقراطية عادة. والتي تعمل على اساس قبول مبدأ التعايش السلمي بينها، تطبيقاً للنظام الديمقراطي ، وتمسكاً بمبدأ حرية الرأي والفكر، لان الحفاظ على الديمقراطية وتأمين مستقبلها يقتضي عدم السماح بقيام احزاب ذات صبغة دكتاتورية او استبدادية ولنجاح نظام تعدد الاحزاب يجب ان يتفهم المواطنون حقيقته واهدافه ومراميه ، فالنظام الحزبي ليس الا وسيلة لخدمة المجتمع . والاحزاب وان اختلفت برامجها واهدافها واساليبها ، تعمل جميعاً على تحقيق المصلحة العامة. في اطار ممارسة حرية الرأي والفكر فأختلاف الرأي ينبغي الا يفسد للود قضية. ان تواجد مثل هذه الاجواء داخل المجتمع العراقي يفتح الأفق لسيادة ثقافة الحوار بين الأفراد والأحزاب المختلفة وتسمح باستخدام ثقافة التسامح كأداة لحل الصراعات السياسية والاجتماعية[٢٩]. لقد اتسعت الديمقراطيه الحديثه في اطار توسيع هوامش المشاركه المنصفه الى ثقافة سياسيه جديده ادخلت بعد الجندره كبعد اساسي في العملية السياسية كتجسيد .ان مبدأ المواطنه الكامله المعتمد اكثر فأكثر في الدساتير الديمقراطية وفي التشريعات التفصيلية المرافقه لها يجعل التساوي في الواجبات والحقوق شاملا دون اي شكل من اشكال التمييز بسبب الجنس او اللون او المعتقد او الانتماء الاجتماعي او الاعاقة.

ب-منظمات المجتمع المدني:

ليس من السهل الادعاء ان جميع المفكرين في العصر الحديث خاصة ينظرون بنظره موحده الى مفهوم منظمات المجتمع المدني ولكن الرأي السائد بأنها مجموعه من

الحركات الاجتماعيه التي تقاوم هيمنة الدوله على المجتمع وممارستها للسلطه التعسفيه وتتمثل هذه الحركات بالمؤسسات والمنظمات الطوعيه غير الرسميه التي تعمل بأستقلال عن سيطرة الدوله التي اعتادت ان تفرض هيمنتها على المجتمع بالسيطره على هذه المؤسسات وغيرها .إن الحكومات بمفردها لن تستطيع ابداً ان تحل جميع المشاكل التي تحول دون تحقيق نهضتها الحقيقية وازدهارها الشامل، فلا بد من مساعدة فعاليات المجتمع المدني بجميع جمعياته ومنظماته ومكاتبه القانونية والتنظيمية ومراكزه العلمية وهيئاته النقابية والمهنية في تحمل مسؤولية المشاركة والمساهمة في بناء المجتمع البشري والانساني وتكثيف الجهود لتنمية المجتمع من خلال نشر وبلورة اساليب التسامح بين أفراده . لذا أصبحت تلك المنظمات اليوم مرتكز اساس في عمليات التنمية والتحديث في كل مجتمعات العالم ومنها العراق ، فمنظمات المجتمع المدني بالأساس وبحكم كونها تعبيراً عن مبارات مستقلة ومنظمة من جانب مجموعات متنوعة من مختلف الفئات الاجتماعية، تعد أفضل آليه للمشاركة في تغيير ثقافة المجتمع، وذلك من خلال ماتقدمه من دعم وجهد مادي ومعنوي، وما تطرحه من مبادرات وندوات ثقافية تعمل على نشر ثقافة قبول الآخر وحرية الرأي وعدم تجاوز الآخر من خلال فلسفة خالية من الكراهية ومبادئ سامية[٣٠]، إذ تعد مسألة التسامح بكل أشكاله العمل الأبرز الواجب على المنظمات القيام به وتدعوا له مع إمكانية ايجاد قنوات اتصال وتعاون مع منظمات عربية ودولية لتعزيز ثقافة التسامح والاستفادة من خبرات تلك المنظمات داخل المجتمع العراقي.

ولمنظمات المجتمع المدني دوراً مهماً في مجمل العملية السياسية لأي بلد من بلدان العالم، فهذه المنظمات بمفهومها العام تعتبر حلقة وصل تربط بين المصالح المباشرة للمجموعات والجماعات المختلفة في أي مجتمع وبين السلطة الموجودة فيه. ومن الطبيعي ان يكون لها على تعددها وتنوعها ،اهمية أكبر وأعظم في المجتمعات التي تسير وفق النهج الديمقراطي وتعطي لكل جماعة او فئة من المجتمع حق وحرية التعبير السياسي عن نفسها، والانضمام تحت لوائها والمشاركة، بشكل او بأخر إذ تمارس منظمات المجتمع المدني نشاطاً متنوعاً ومتعدد الوجوه والأشكال في التنشئة السياسية ورفع مستوى الوعي السياسي حيث ان قيام منظمات المجتمع المدني بأعضائها في رفع مستوى الوعي السياسي [٣١]. لدى افراد المجتمع بشكل عام اذا أبتغت ان تعمق مفهوم الديمقراطية بالحياة السياسية العراقية يجب ان تتحررهم من ترسبات الماضي وأثار تخلف الفكر الشمولي الذي كان سائداً في

المجتمع العراقي والانفتاح على العصر وما يتضمنه من قيم ومبادئ حضارية تمنحنا فرص الحل ومعالجة لإشكالاتنا التنظيمية والسياسية. ومن أهم تلك المبادئ التسامح كونها تتضمن آليات الحل التي ترضي كافة الأطراف فالإيمان بالحوار والتسامح كثقافة ومنهج يعني بالضرورة الاعتراف بوجود الآخر المختلف وقبوله كما هو كشرط لنجاح العمل الديمقراطي بالعراق، أذاً دورها توعوي وتنموي سواء كان لثقافة حقوق الانسان او لمبدأ ثقافة التسامح والتعايش السلمي. كما تضطلع هذه المؤسسات بأدوار طلائعيه في الانظمه الديمقراطيه والذي يعزز من دورها ويدعم من مواقفها في المجتمعات المدنيه.كما ان لهذه المؤسسات دور مميز في نسج علاقة تضامنيه تعاونيه تعاضديه بين جميع افراد المجتمع دون تمييز مما يؤدي في المحصله الى خلق اجواء تنمي روح المصالحه والسلم والوئام المدني بين الافراد كما ان لهذه المنظمات الاجتماعيه القدره على مساعدة المجتمع على ادارة نفسه لانها تقوم على نشاط نوعي وطوعي وغير ربحي لافراد يحرصون على الاستقلاليه عن الدوله وادارة شؤونهم ولا يسعون للسلطه السياسيه بالمعنى المباشر .

ب-انماء واذكاء روح المواطنه:-

ان لتنظيم العلاقة بين المواطنين وارساء مبدا المواطنه بين الجميع ،كأساس للمساواة التامه بين المواطنين كافه ،ايا كان انتمائهم وبين الدوله ومؤسساتها المختلفه وبين المجتمع ككل ،ولا شك ان هناك بالفعل حاجة ماسة لتحويل المعاني النظريه والفكريه لمفهوم المواطنه الى سلوك عام يشعر به الجميع ،سلوك يبدأ من المؤسسات السياديه ويمر بالجهات التنفيذيه والبيئه التشريعيه ،ووسائل الاعلام والاجهزه الامنيه والتربويه،وينتهي بالتصرفات االتلقائيه للمواطنين ككل، ان الوئام الوطني لا يتحقق الا اذا كان هناك توجه عام من لدن مؤسسات الدوله المختلفه فضلا عن منظمات المجتمع المدني ،علاوة على مؤسسات ووسائل الاعلام المتنوعه اضف اليها المناهج التعليميه والتربويه لها الدور الاكبر في انماء روح المواطنه ذلك لانه الفضاء الاوسع الذي يسع بالمحبه كل الفرقاء والشركاء مهما اختلفوا في القوميه والمذهب والعرق واللغه والدين ،لان جامعهم وحاضنهم الابدي في قاسم مشترك اكبر وواحد هو (الوطن) فهو قارب النجاة الذي يهرع اليه الجميع كلما اشتدت المحن(٣٢).

ج- الاعلام :

شهد العصر الحالي تسارعاً كبيراً في صناعة الاتصالات وتطورها. وخاصة في الاذاعة والتلفزيون والأقمار الصناعية والكومبيوتر ، وقد أتاحت هذه الاختراعات المجال لتوافر اجهزة الاتصال وبأسعار رخيصة وباحجام صغيرة كما أصبح

استخدامها على نطاق واسع. لقد جائت ثورة الاتصال التي جعلت من وسائل الاعلام شريكاً فاعلاً يسهم بقدر كبير في عملية التنشئة الاجتماعية. بجانب قنوات التنشئة الاجتماعية الاخرى. وتظهر فاعلية وسائل الاعلام في قدرتها على التحرك حيث يوجد الجمهور المستهدف في بيته او مكتبه او اي مكان يتجه اليه تخاطب الكبير والصغير المرأة والرجل. كما ان وسائل الاعلام احتلت نفسها مكاناً في كافة ميادين الفكر والتأثير في الثقافة والترويج والتوجيه وفق اساليب مستحدثة وتقنيات عالية مما يجعل افراد المجتمع يسلمون عقولهم وعاطفتهم للوسيلة الاعلامية لتقوم بدور الأسرة والمدرسة[٣٢].

أن الأعلام بمفاهيمه العلمية المعاصرة جديد على الفكر والممارسة العراقية ، إذ لم تدخل اغلب تلك الاختراعات المنزل العراقي الا في الآونة الاخيرة لتجريم النظام السابق لمعظمها،

ان التحدي الذي يفرضه علينا عصر التكنولوجية اليوم هو استيعاب هذا النوع من انواع المعرفة الإنسانية والانتفاع بها، فلوسائل الاعلام فوائد جمة منها قدرتها في توجيه الرأي العام نحو التغيير من خلال ترويج أفكار المساواة والحرية والعدالة الاجتماعية ، كما ان بمقدور الحملات الاعلامية الموجهه ان ترفع مستوى المعرفة العامة فيما يتعلق بالمسائل الاجتماعية والسياسية ان أهم مايميز الدور الايجابي لعملية الاتصال في اطر ومستويات التنشئة الاجتماعية في أي مجتمع هو قيام تلك الوسائل الاعلام(صحافة ، إذاعة، تلفزيون) بحيث لايقبلون ولا يعتقدون بما تقدمه لهم وسائل الدعاية دائماً. بل يتفاعلون معها بعقلية راشدة وأفكار واعية. فوسائل الاتصال مثل التلفزيون له دور في تنسيق الفهم العام والتحكم الاجتماعي.

ان فكرة هذه الوسائل ترويج ثقافة تتناسب مع متطلبات المجتمع وتلبي رغباته مما يتيح إمكانية استخدام الاعلام الجماهيرية كالتلفزيون والانترنيت والجرائد والمجلات والكتب والاعلان في نشر ثقافة التسامح داخل المجتمع العراقي. لما لهذا الوسائل من قدرة على توافر مناخ فكري للتغير عن طريق بث افكار جديدة تسهم في عملية التغير نحو ثقافة تؤمن بالسلم والحوار طريق لحل جميع الاختلافات والتناقضات المتوافرة داخل المجتمع العراقي (٣٣)ثم ان لتقليل وسائل الاعلام لعرضها مظاهر العنف الى الحد الادنى وللضرورة القصوى او بالفيلم، خاصة من قبل الاطفال والشباب، هو مقدمة التطبع عليه ومحاولة محاكاته على أرض الواقع وفي ممارساته اليومية، ان لوسائل الاعلام القدرة على إشاعة ثقافة التسامح عبر أدواتها الإعلامية التي تصل بشكل مباشر الى جميع شرائح المجتمع وعلى اختلاف ثقافتهم

انما استخدمت نقطة حوار وتفاهم ولقاء لانقطة خلاف وتناقض وصراع.من جهه اخرى تعتبر وسائل الاتصال مصادر مفتوحه ،سواء في الاجهزة او البرمجيات وذلك لانها تتيح الفرصه للتعبير عن كل الاصوات بشكل ديمقراطي في نشر الفكر والثقافه وللناس حق الاختيار في التبني والاستجابة،ان اهمية الاعلام ووسائل الاتصال تأتي من تأثيرها على الجماهير وبث الافكار والمعتقدات والقيم حيث تعمل على التشكيل المعرفي للافراد وتغيير المواقف والاتجاهات الامر الذي يتيح احلال اصول معرفيه جديده محل الاصول المعرفيه القديمه ،ان لتنمية حس الاعتدال وثقافة التسامح ونبذ التطرف والعنف مسؤوليه عامه تحتم على الجميع من مفكرين واعلاميين وقادة الرأي ان ينشروها عبر وسائل الاعلام والتنبه لخطورة تداعيات ظاهرة التعصب والحرص على رص الصف بما يعزز الامن الاجتماعي ويدرأ عن المجتمع مخاطر جمه .(٣٤)

وخلاصة القول أن التسامح لم يتسبب قط في اثارة الفتن والحروب الاهلية في حين ان عدم التسامح قد عمم المذابح على وجه الارض وخير وسيلة لأنها ء العنف هو التخلي عن الذهنية المريضة لصالح العقل الرشيد الذي يخنق الفتنة في المهد ويشد من ازر الفضيله.

رابعاً : الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات.

●الاستنتاجات:

١-تعد الأسرة هي المغذي الأول للثقافة لدى أبناء المتجمع ويتوقف عليها مد بناء المجتمع العراقي بثقافة جديدة عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية.

٢-ان للغة الحوار والتدريب على مهارات الاستماع دوراً كبيراً في التنشئة الاجتماعية.

٣-ان العلاقات الأسرية هي نبراس هذه الثقافة وهي المرآة المعكوسة على الاولاد في تبني ثقافة التسامح.

٤-ان لنشر ثقافة السلام والتسامح في المجتمع العراقي ضرورة ملحة.

٥-للتعليم أهمية في الاسهام بتكريس ثقافة التسامح بوصفها استتراتيجية في عملية التنشئة الاجتماعية.

٦-لابد من مساعدة منظمات المجتمع المدني بجميع جمعياته ومنظماته ومكاتبه القانونية والتنظيمية ومراكزه العلمية وهيئاته النقابية والمهنية في تحمل مسؤولية المشاركة والمساهمة في بناء المجتمع البشري والانساني.

٧-الاهتمام بالبرامج الاعلاميه والعمل على بث برامج توعويه لنبذ العنف والطائفيه ،ونشر ثقافة التسامح عبر وسائل الاعلام المختلفه من الفيس بوك وتويتر والتلفزيون وشبكات الهاتف النقال .

٨-ضرورة دعم وتشجيع مؤسسات المجتمع المدني على ممارسة دورها في عملية بناء العراق الجديد.كما يجب ان تأخذ على عاتقها بالعمل جنب الى جنب مع العناصر المثقفه والواعيه الفاعلة وتشجيعهم ماديا ومعنويا للقيام بدور مجتمعي ناجح وتنمية قدراتهم من خلال وسائل الاتصال الحديثه.

- **التوصيات :**

على كافة الوزارات لاسيما التربية والتعليم تبني لغة الحوار والمصارحة والمصالحة في توجيهاتها لبناء العراق الجديد.مع ضرورة اهتمام وسائل الاعلام بالجوانب القيميه والاخلاقيه ،من خلال تخصيص ندوات وبرامج تلفزيونيه واذاعيه واعلاميه بهدف تعزيز ثقافة قبول الاخر وتبني قيم التسامح التي دعت لها كافة الاديان والمواثيق الدوليه.

- **المقترحات :**

١- ان يقوم الباحثون النفسيون والاجتماعيون بدراسات ميدانية في أجل ارساء ثقافة التسامح في المجتمع العراقي .

٢- السعي الى اقامة مؤتمرات عالميه ودوليه لترسيخ ثقافة التسامح وقبول الآخر من خلال تبني سياسة الدوله لهكذا مؤتمرات نظرا لما يتمتع به مجتمعنا الفسيفسائي والملون بأطياف عديده والتي من خلالها تترسخ ثقافة التسامح وقبول الاخر بين جميع افراد وطننا العزيز.

- **المصادر :**

١-حيدر البصري ،اللاعنف مدخل المفاهيم والرؤى ،مجلة النبأ،مطبعة الارشاد الحديث ،ع٢٠٠١،٥٤،ص٢٦

٢-ممدوح الشيخ(د)ثقافة قبول الآخر،مكتبة الايمان،المنصوره،ط١،٢٠٠٧،ص١٦٨

٣-فخر الدين الرازي،مختار الصحاح،ب.ط.ب.ت،ص١٦٣

٤-شوقي ابو خليل (د) التسامح في الاسلام،دار الفكر المعاصر ،دمشق،ط١،١٩٩٣،ص٤٣

٥-اوشو،التسامح:رؤيا جديده تزهر الحياة،ترجمة علي الحداد ،الكويت،دار الخيال للطباعه ،٢٠١١،ص٤٥

٦-عبير الدويله،ثقافة التسامح وثقافة الحياة ،المجله العربيه للثقافه ، ٢٠٠٧،ع٦٠

٧-علي اسعد وطفه ،التربيه على قيم التسامح ،بحث ضمن مجلة التسامح العمانيه ،ع١١،٢٠٠٥ ،ص٢١٤

٨-احمد زكي بدوي (د)معجم ومصطلحات العلوم الاجتماعيه،مكتبة لبنان،بيروت،١٩٨٢،ص٩٢

٩-شاكرمصطفى سليم (د)،قاموس الانثروبولوجيا،جامعة الكويت،١٩٨١،ص٤٧

١٠-صلاح صوباني واخرون ،قيم التسامح في المناهج المدرسيه العربيه ،الشبكه العربيه للتسامح ،مركز رام الله لحقوق الانسان،٢٠١٢،ص١٥

١١-ابراهيم مدكور (د)معجم العلوم الاجتماعيه،الهيئه المصريه العامه للكتاب،القاهره،١٩٧٥،ص٢٠٠
١٢-اسعد الاماره(د)العنف وتصدع الشخصيه،مجلة النبأ،مطبعة الارشاد الحديث،ع٧٨،٢٠٠٥،ص٤٣
١٣-صالح بن عبد الرحمن الحصين،التسامح والعدوانيه بين الاسلام والغرب،جامعة الملك سعود،١٤٢٩،ب.ط،ص٦٠
١٤-جون لوك،رساله في التسامح،ترجمة عبد الرحمن بدوي ،دار الغرب الاسلامي،ط١،١٩٨٨،بيروت،ص٩
١٥-الامام محمد عبده،الاعمال الكامله،المؤسسه العربيه للدراسات والنشر،بيروت،١٩٧٣،ص٢٨٣
١٦-ميلاد حنا(د) قبول الآخر،دار الشروق،القاهره،ط١،١٩٩٨،ص١٠٦
١٧-ذياب موسى (د)قيم التسامح في مناهج التعليم الجامعي،المجله العربيه للدراسات الامنيه والتدريب ،مج٢٧،ع٥٣،ص١٩٠
١٨-اعلان مبادئ اليونسكو بشأن التسامح،باريس،الدوره ٢٨،١٩٩٥،وكذلك اعلان الامم المتحده بشأن التسامح،١٩٩٣
١٩-عبد العزيز بن عثمان(د)،فعالية قيم الحب والتسامح في القرآن،مؤسسة البيت الملكيه للفكر الاسلامي،عمان،٢٠٠٧،ص٩
٢٠-بلال صفي الدين (د)،مفهوم التسامح في الاسلام وصلته بمفهوم الواجب،جامعة دمشق،٢٠٠٩،ص١٣
٢١-صالح صوباني واخرون ،قيم التسامح في المناهج المدرسيه العربيه ،مصدر سابق،ص ١٤
٢٢-صالح بن عبد الرحمن الحصين ،التسامح والعدوانيه بين الاسلام والغرب،الرياض،مطابع جامعة الملك سعود،١٤٢٩،ص٢٥.
٢٣-خميس الشماري ،الفكر الاسلامي وحقوق الانسان بين الواقع والمنال ،المجلة العربيه لحقوق الانسان،اصدار المعهد العربي لحقوق الانسان،ع٢،١٩٩٥
٢٤-ناجي اليكوش وآخرون،دراسات في التسامح ،المعهد العربي لحقوق الانسان ،المجمع التونسي،بيت الحكمه تونس،١٩٩٥،ص٤٢
٢٥-بلال صفي الدين(د)مفهوم التسامح في الاسلام وصلته بمفهوم الواجب،جامعة دمشق،٢٠٠٩،ص٢٦
٢٦-الفتاح احمد عبد الفاوي،الثقافه العربيه في عصر العولمه،مجلة المستقبل العربي،مركز دراسات الوحده العربيه،بيروت،ع٢٢٩،١٩٩٨،ص٣٣
٢٧-خميس الشماري ،التسامح غايه صعبة المنال،المجله العربيه لحقوق الانسان،المعهد العربي لحقوق الانسان،ع٢،١٩٩٤

٢٨-ماجد راغب الحلو (د)،القانون الدستوري،دار المطبوعات الجامعيه،الاسكندريه،١٩٩٧،ص١١٥
٢٩-عبدالله العروي (د)،مفهوم الدوله،الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي،١٩٨٢،ص٤٤
٣٠-ماهر محمود عمر (د)سايكولوجيا العلاقات الاجتماعيه،دار الكتب الجامعيه،الاسكندريه،١٩٨٨،ص١٢٠
٣١-شاهيناز طلعت ،وسائل الاعلام والتنميه الاجتماعيه،مكتبة الانجلو المصريه،القاهره،١٩٨٠،ص٧٩
٣٢-عبد السلام بغدادي (د) السلام الوطني (المدني)،بيت الحكمه،ط١،٢٠١١،ص٩٦
٣٣-تشارلز رايت ،المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري،ترجمة محمد فتي،الهيئه المصريه العامه للكتابه ،القاهره،١٩٨٣،ص١٣١
٣٤-شاديه التل (د)المنظومه القيميه لطلبة جامعة الزرقاء،مؤته للبحوث والدراسات،مج١٨،ع١،٢٠٠٨،ص١١
٣٥-حسين جمعه(د)،ثقافة الحوار مع الآخر،مجلة جامعة دمشق،مج٢٤،ع٣و٤،٢٠٠٨